الهروب من فصول الدِّراسة بثانويات الدَّار البيضاء بين التَّعثر المعرفي والإغراء الرَّقمي: الغياب المتكرِّر في كواليس الحراسة العامَّة

دة. زينب براج
جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء
المملكة المغربية

الملخص:

يتناول المقال ظاهرة الغياب المتكرِّر في السلك الثَّانوي التَّأهيلي بمدينة الدَّار البيضاء كمعضلة سوسيولوجية مركَّبة تتجاوز منطق المخالفة الإدارية لتكشف عن "أزمة انتماء تربوي" حادَّة وفقدان للمعنى داخل الفضاء المدرسي. وتؤكِّد نتائج الدِّراسة وجود ارتباط حتمي بين ضعف التَّحصيل الدِّراسي وتراكم نقص التَّعلمات في السَّنوات المنصرمة وبين الميل للانسحاب من الفصل كـ "استراتيجيَّة هروب" دفاعيَّة ضدَّ الاغتراب المعرفي، وهي دينامية تتغذَّى في السِّياق البيضاوي من إكراهات النَّسق الحضري المتمثِّلة في إرهاق الزَّمن المدرسي، والهشاشة الاجتماعية، وجاذبيَّة الإغراءات الرَّقمية. ويخلص المقال، استناداً لتمثُّلات الحرَّاس العامِّين، إلى أنَّ تجاوز "الحضور الشَّكلي" يقتضي انتقالاً استراتيجياً نحو "الوساطة التَّربوية" وتفعيل خلايا اليقظة والمواكبة الفردية، انسجاماً مع أهداف "خارطة الطَّريق 2022-2026" الَّتي تسعى لإعادة بناء الثِّقة في المدرسة العمومية وتحويلها إلى فضاء جذَّاب يضمن الحضور الذِّهني والنَّفسي الحقيقي للمتعلِّم.

كلمات مفتاحية: الغياب المتكرِّر- التَّحصيل الدِّراسي- الهدر المدرسي - الانتماء التَّربوي- السِّلك الثَّانوي التَّأهيلي.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Skipping classes in Casablanca high schools: between cognitive difficulties and digital temptation: frequent absences behind the scenes of general supervision

Abstract :

This article examines the phenomenon of frequent absenteeism in secondary schools in Casablanca as a complex sociological problem that transcends the logic of administrative violations, revealing a severe "crisis of educational belonging" and a loss of meaning within the school environment. The study's findings confirm a direct correlation between poor academic performance and the accumulation of learning gaps in previous years, coupled with a tendency to withdraw from class as a defensive "escape strategy" against cognitive alienation. This dynamic is fueled in the Casablanca context by the constraints of urban life, including the strain of school hours, social vulnerability, and the allure of digital distractions. Based on the perspectives of school supervisors, the article concludes that moving beyond mere "formal attendance" necessitates a strategic shift towards "educational mediation" and the activation of monitoring and individual support units, in line with the objectives of the "2022-2026 Roadmap," which aims to rebuild trust in public schools and transform them into attractive spaces that ensure the genuine intellectual and psychological engagement of students.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

تعتبر منظومة التَّربية والتَّكوين بالمغرب في قلب تحوُّلات بنيوية حاسمة، حيث سعت "خارطة الطَّريق 2022-2026"[1] إلى إرساء نموذج "مدرسة الجودة" وتقليص الفوارق التَّعليمية. ومع ذلك، لا يزال نظامنا التَّربوي يصطدم بمعضلات بنيوية تعيق تحقيق أهداف الرُّؤية الاستراتيجية 2015-2030،[2] وفي مقدِّمتها ظاهرة الهدر المدرسي الَّتي اتَّخذت أبعاداً مقلقة؛ إذ كشف التَّقرير السَّنوي لليونيسف المغرب أنَّ حوالي 280 ألف تلميذ غادروا فصول الدِّراسة خلال سنة 2025 وحدها. هذا الرَّقم الصَّادم لا يمثِّل مجرَّد إحصاء إداري، بل هو مؤشِّر سوسيولوجي على عمق الأزمة الَّتي تجعل من الحق في التَّعليم، المكفول دستورياً ودولياً، رهاناً صعب المنال لآلاف اليافعين. في هذا السِّياق، يَبرز "الغياب المتكرِّر" في سلك التَّعليم الثَّانوي التَّأهيلي كأحد أخطر تجلِّيات الهدر المدرسي وأكثرها تعقيداً. ففي الحاضرة الكبرى كالدَّار البيضاء، لم يعد غياب التِّلميذ مجرَّد سلوك فردي معزول أو جنحة انضباطية تستوجب الزَّجر الإداري، بل أضحى "ظاهرة سوسيولوجية مركَّبة" تعكس أزمة انتماء تربوي حادَّة. إنَّ تلميذ السِّلك التَّأهيلي في الدَّار البيضاء يعيش في قلب نسق حضري متسارع يتَّسم بتباينات سوسيو-اقتصادية حادَّة، واكتظاظ مهول في المؤسَّسات، وصعوبات لوجستية في التَّنقل، ممَّا يضع استمراريته البيداغوجية على المحك. وتنتقل هذه الدِّراسة من مقاربة "الضَّبط الجسدي" للتِّلميذ إلى مساءلة جدوى التَّعلُّم ومعناه لدى المتعلِّم المعاصر؛ فالسُّؤال الجوهري الَّذي يطرحه البحث ليس هو "لماذا يتغيَّب التِّلميذ جسدياً؟" فحسب، بل "هل نبحث عن حضور التِّلميذ الشَّكلي أم عن حضوره الذِّهني والنَّفسي الحقيقي داخل الفصل؟".

إنَّ الدِّراسات الميدانية تؤكِّد وجود علاقة طردية وثيقة بين ضعف التَّحصيل الدِّراسي والميل نحو الغياب؛ فالتِّلميذ الَّذي تراكم لديه نقص في التَّعلمات خلال السَّنوات المنصرمة يجد نفسه غريباً داخل قاعة الدَّرس، ممَّا يولِّد لديه شعوراً بالملل والنُّفور، ويجعل من الغياب استراتيجية "هروب" دفاعية ضدَّ الفشل. علاوة على ذلك، يواجه تلميذ الدَّار البيضاء "إغراءات الفضاء الرقمي" واضطرابات الإيقاعات البيولوجية النَّاتجة عن السَّهر والإدمان على الوسائط التِّكنولوجية، وهو ما يتداخل مع "إرهاق الزَّمن المدرسي" وكثافة المقرَّرات وضغط الحصص المتأخِّرة. هذه العوامل مجتمعة تساهم في تحويل المدرسة من فضاء جذَّاب للرُّقي الاجتماعي إلى مكان "جاف" يفتقر للأنشطة الموازية كالمسرح و الرياضة و الأندية، الَّتي من شأنها إحياء الحياة المدرسية وتعزيز شعور الانتماء.

إنَّ هذه الدِّراسة، ومن خلال اعتماد المنهج الكيفي عبر مقابلات مطوَّلة مع الحرَّاس العامِّين ب ثانويات الدَّار البيضاء، تسعى لاستنطاق تمثُّلات هذا الفاعل "المرصدي" الذي يدبِّر يومياً منظومة "مسار" ويطَّلع على أسرار ملفَّات الغياب. يهدف البحث إلى فحص مدى فاعلية "خلايا اليقظة والإنصات" في الانتقال من منطق العقاب الزَّجري إلى منطق "الوساطة التَّربوية والمواكبة الفردية". فهل تنجح السِّياسات الإصلاحية الحالية في ردم الفجوة بين "المدرسة" و"الحياة"، أم سيبقى الغياب المتكرِّر صرخة صامتة تعلن عن فقدان معنى التَّعلم في زمن التَّحولات الكبرى؟

---

[1] الاستراتيجية الوطنية للمملكة المغربية الرامية إلى إصلاح قطاع التربية والتكوين، وتتولى وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة مسؤولية تنزيلها تحت شعار "من أجل مدرسة عمومية ذات جودة للجميع". وتتميز هذه الخطة بتركيزها المحوري على تحقيق أثر ملموس وفعلي داخل الفصول الدراسية، متجاوزةً المقاربات النظرية التقليدية.

[2] تُمثّل الرؤية الاستراتيجية 2015-2030 مشروعاً هيكلياً بعيد المدى، وضعه المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي كمخطط شامل لإصلاح المنظومة التعليمية في المغرب. وقد صِيغت هذه الوثيقة المرجعية تحت شعار "من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء"، حيث تسعى بشكل أساسي إلى إحداث نقلة نوعية في المدرسة المغربية؛ للانتقال بها من أسلوب التلقين والشحن التقليدي إلى منهج يعتمد على التفكير النقدي وبناء المعرفة.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2 .المنهجية

تعتمد هذه الدِّراسة المنهج الوصفي التَّحليلي بمرجعية سوسيولوجية، موظِّفة المقاربة الكيفية لتعميق الفهم حول ديناميات الغياب المتكرِّر. يهدف هذا الاختيار المنهجي إلى استنطاق "تمثُّلات" الفاعلين التَّربويين وتفسيراتهم السُّوسيولوجية للظَّاهرة، بدلاً من الاكتفاء بالرَّصد الإحصائي الكمِّي الجاف.

2.1 .عينة الدراسة وسياقها

تمَّ اختيار عيِّنة قصدية تتكوَّن من حارسين عامين يعملون بثانويات تأهيلية عمومية بمدينة الدَّار البيضاء. ويعود مبرِّر اختيار "الحارس العام" بكونه الفاعل المركزي الَّذي يشغل موقعاً مرصدياً؛ فهو المسؤول عن تدبير منظومة "مسار" الرَّقمية وتتبُّع سجلَّات الغياب اليومية، كما يمثِّل حلقة الوصل المباشرة بين الإدارة و الأسرة والتِّلميذ.

لتغطية التَّباينات السُّوسيو-مجالية لمدينة الدَّار البيضاء، تمَّ توزيع العيِّنة كالتَّالي:

- المجال الأوَّل: ثانوية بمنطقة "سيدي البرنوصي" لرصد أثر الهشاشة الاجتماعية والضَّغط الدِّيمغرافي.
- المجال الثَّاني: ثانوية بمنطقة "الهراويّين" لدراسة أثر إكراهات النَّقل وبعد المؤسَّسة عن السَّكن.

2.2 .أدوات جمع المعطيات

اعتمد البحث على أداتين متكاملتين:

- المقابلة نصف الموجَّهة : تمَّ إجراء مقابلات مطوَّلة ومعمَّقة مع الحرَّاس العامِّين بناءً على دليل مقابلة يركِّز على (الدَّافعيَّة، الزَّمن المدرسي، المناخ المؤسَّساتي، والتَّواصل الأسري).
- تحليل الوثائق الإدارية والسِّجالت الرَّقمية: تمَّ االاستئناس بالبيانات الخام المستخرجة من منظومة "مسار " لتشخيص مستويات التَّحصيل الدِّراسي للتَّلاميذ المتغيِّبين، وربطها بمساراتهم الدِّراسية السَّابقة.

2.3 .محاور تحليل الظاهرة

تمَّ بناء دليل المقابلات وفق أربعة أبعاد سوسيولوجية مستمدَّة من التَّوجُّهات الإصلاحية لخارطة الطَّريق 2022-2026 والمؤلَّفات التَّربوية الحديثة.

- البعد التَّربوي: علاقة الغياب بتراكم التَّعثُّرات الدِّراسية و"فقدان المعنى" داخل القسم.
- البعد السَّيكو-بيولوجي: أثر الزَّمن المدرسي المرهق على الإيقاعات الحيوية للمراهق (السَّهر، الإدمان الرَّقمي).
- البعد المؤسَّساتي: مدى جاذبية الحياة المدرسية (أندية، رياضة، مسرح) في خلق "انتماء" يحد من الهروب نحو الفضاءات الحضرية الخارجية.
- البعد السُّوسيو-أسري: طبيعة الوساطة التَّربوية الَّتي يقوم بها الحارس العام لتفعيل "خلايا اليقظة" مع الأسر الهشَّة.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2.4 .إجراءات الصدق والثبات

لضمان الصِّدق الأكاديمي، تمَّ اعتماد "التَّحليل المقارن" لنتائج المقابلتين، وتدقيقها في ضوء التَّقارير الرَّسمية للمجلس الأعلى للتَّربية والتَّكوين والدِّراسات الميدانية السَّابقة في نفس المجال. كما تمَّ الالتزام بالمعايير الأخلاقية للبحث عبر ضمان سرِّية هويَّة المستجوبين والمؤسَّسات التَّعليمية المعنية.

3 .النتائج

أسفرت المقابلات المعمَّقة مع الحرَّاس العامِّين في الدَّار البيضاء، وتحليل البيانات الخام المستخرجة من منظومة "مسار"، عن النَّتائج التَّحليلية التَّالية:

3.1 .الارتباط الطردي بين "التعثر الدراسي" والغياب المتكرر: من العجز المعرفي إلى الاغتراب التربوي

تُجمِع التَّقارير الرَّسمية والدِّراسات الميدانية المنجزة في سياق إصلاح المنظومة التَّربوية المغربية على أنَّ النَّجاح الدِّراسي لا يزال مرتبطاً بشكل قوي بالأصل الاجتماعي والقدرة على مسايرة الإيقاعات البيداغوجية، وهو ما يفسِّر مغادرة حوالي 280 ألف تلميذ لمقاعد الدِّراسة خلال سنة 2025[1]. وتكشف نتائج البحث الميداني، ولا سيما عند استنطاق تمثُّلات الحرَّاس العامِّين بوصفهم الفاعلين المرصديين الَّذين يدبِّرون يومياً منظومة "مسار" الرَّقمية، أنَّ هناك علاقة وثيقة ومعقَّدة بين ضعف النَّتائج الدِّراسية وبين الميل المتزايد نحو التَّغيب المتكرِّر عن الفصول الدِّراسية[2]. فالغياب هنا لا يظهر كفعل عبثي أو ناتج عن إهمال محض، بل يتحوَّل سوسيولوجياً إلى "استراتيجية هروب" واعية أو لا واعية يمارسها التِّلميذ المتعثِّر كنوع من "الدِّفاع النَّفسي" ضدَّ وضعية تعليمية لم يعد قادراً على مجاراتها.

وتشير البيانات المستخلصة من ملفَّات التَّلاميذ الَّذين يعانون من غيابات مزمنة في السِّلك التَّأهيلي إلى أنَّهم يعانون في الأصل من نقص حاد وتراكمي في الكفايات الأساسية، لا سيما في المواد العلمية واللُّغة الفرنسية، وهي تعثُّرات بدأت في الأسلاك السَّابقة ولم يتم تداركها عبر آليات الدَّعم التَّربوي الفعَّال. وبناءً عليه، يجد التِّلميذ نفسه في حالة من "الاغتراب المعرفي" داخل القسم؛ حيث يؤدِّي عدم فهم المحتوى البيداغوجي إلى توليد شعور حاد بالملل وفقدان معنى التَّعلم، ممَّا يجعل الفصل الدِّراسي مكاناً "طارداً" يفتقر للجاذبية[3].

علاوة على ذلك، فإنَّ هذا التَّعثر الدِّراسي يضع التِّلميذ في مواجهة مباشرة مع ضغوط نفسية واجتماعية، حيث يتحوَّل الحضور الجسدي في غياب الحضور الذِّهني إلى مصدر للإحباط و"الوصم" بالفشل أمام الأقران، وهو ما يعزِّز الرَّغبة في الانسحاب نحو فضاءات المدينة الخارجية أو الفضاء الرقمي كبديل تعويضي. وتقتضي هذه النَّتائج، انسجاماً مع خارطة الطَّريق 2022-2026،

---

[1] التقرير السنوي لليونيسف بالمغرب لعام 2025، صفحة 16. وتحديداً الوثيقة التقويمية الملحقة به المعنونة بـ
.L'ÉVALUATION DU PROJET - Unicef
https://www.unicef.org/morocco/media/4746/file/Rapport_Annuel_UNICEF_25.pdf.pdf

[2] مصطفى السليفاني، الهدر المدرسي: الأسباب والحلول، مجلة تكوين للدراسات التربوية وأبحاث التجديد البيداغوجي، بني ملال، 2024، ص 31.

[3] زايد فاسكة ومحمد أوتانوت وبوزين سي محمد، تأثير التحصيل الدراسي على غياب التلميذات والتلاميذ بالتعليم الثانوي، مجلة مسالك التربية والتكوين، الرشيدية، 2021، ص 188.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الانتقال من مجرد البحث عن "الحضور الشَّكلي" والضَّبط الإداري إلى التَّركيز على المواكبة الفردية والدَّعم التَّربوي المنظَّم الَّذي يستهدف ردم الهوَّة المعرفيَّة قبل أن تتحوَّل إلى انقطاع نهائي عن الدِّراسة[1].

3.2 ديناميات "الهروب" وأزمة الانتماء المدرسي بالدار البيضاء بين الهشاشة الاجتماعية و الزمن المرهق و والإغراء الرقمي

أثبتت نتائج المقابلات الميدانية المعمَّقة مع الحرَّاس العامِّين بمدينة الدَّار البيضاء وجود تفاوت بنيوي حتمي في دوافع التَّغيب، يرتبط بشكل عضوي بالتَّموقع السوسيو-مجالي للمؤسَّسات التَّعليمية داخل الحاضرة الكبرى. ففي الأحياء الشَّعبية ذات الكثافة السُّكانية العالية، كشف التَّحليل الميداني عن هيمنة حتمية لأثر "الهشاشة الاجتماعية"؛ حيث تبيَّن أنَّ أغلب آباء التَّلاميذ المتغيِّبين يزاولون مهناً غير مستقرة (مياومون، حرفيون، فلاحون سابقون)، وهو ما يضعف بشكل قسري آليات التَّتبع والرَّقابة الأبوية المستمرَّة لسلوك الأبناء. هذه الوضعية تؤدِّي حتماً إلى تآكل "سلطة الضَّبط الأسرية"، ممَّا يترك المتعلِّم في مواجهة منفردة مع تحدِّيات الشَّارع أو الفشل الدِّراسي في غياب مواكبة فردية دقيقة تمنع انقطاعه. كما أكَّدت النَّتائج أنَّ "الإغراءات الرَّقمية" تشكِّل المحرِّك الأساسي لدينامية الغياب؛ حيث أدَّى سوء استعمال الوسائل التِّكنولوجية الحديثة (الهاتف المحمول، الحاسوب) والإدمان المفرط على مواقع التَّواصل الاجتماعي إلى إحداث اضطرابات حادَّة وحتمية في الإيقاعات البيولوجيَّة للمراهقين. إنَّ السهر الطَّويل في مواقع التَّواصل الاجتماعي يستنزف الطَّاقة الذِّهنية للمتعلِّم، ممَّا يفسِّر الارتفاع الملحوظ في معدَّلات الغياب خلال الحصص الصَّباحية الأولى كآلية تعويضيَّة حتمية عن الإرهاق الذِّهني والبدني.

أمَّا فيما يخص منطقة "الهراويين" بمدينة الدَّار البيضاء، فيمكن اعتبارها نموذجاً سوسيولوجياً للمجالات الحضرية المتَّسمة بـ "الزَّحف العمراني"، حيث يبرز بُعد المؤسَّسات التَّعليمية عن مقرِّ السَّكن كأحد المعيقات البنيوية الأساسية الَّتي تهدِّد استقرار المسار الدِّراسي للتَّلاميذ. وتؤكِّد المقابلات أنَّ تعثُّر منظومة النَّقل المدرسي في مثل هذه المناطق يضع الأسر أمام إكراهات مادِّية ولوجستيكية حادَّة، مما يحوِّل المسافة الجغرافية إلى عامل مباشر للاستبعاد التَّربوي وتعميق الفوارق المجالية. وفي هذا السِّياق، فإن "إكراهات التَّنقل" تساهم بشكل حتمي في الرَّفع من معدَّلات الغياب المتكرِّر، حيث يضطرُّ المتعلِّم لقطع مسافات طويلة تستنزف طاقته الذِّهنية والبدنية وتؤدِّي به نحو "الشُّرود" أو التَّغيب الإرادي كنوع من التَّكيف مع "الزَّمن المدرسي المرهق".

و قد خلُصت الدِّراسة أيضا إلى وجود تذمُّر جماعي ومؤكَّد لدى التَّلاميذ من "الزَّمن المدرسي المرهق"؛ إذ تبيَّن أنَّ كثافة المقرَّرات وتوالي الحصص المتأخِّرة، الَّتي تمتد لحدِّ السَّاعة السَّادسة و النِّصف مساءً، بالإضافة إلى الساعات المسائية التي أصبح غالبيَّة التَّلاميذ يتمسَّكون بها كطوقٍ للنَّجاة، و التي من شأنها أيضا استنزاف طاقة التلميذ و قدرته على التَّركيز؛ كل هذا يدفع المتعلِّم حتماً نحو الشُّرود الذِّهني أو التَّغيُّب الإرادي. هذا المناخ المدرسي "الجاف" الَّذي يفتقر للأنشطة الموازية، جعل التَّلاميذ يفضلون حتماً الفضاءات الحضرية الخارجية (المقاهي، الحدائق العامة، مراكز التَّرفيه) بحثاً عن "التَّحرر" من ضغوط النَّسق التَّربوي الَّذي لم يستجب بعد

[1] المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، تقرير ضمان الاستمرارية البيداغوجية في سياق الأزمات، المغرب الاقتصادي، الرباط، 2026، ص 125.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

للتَّحدِّيات المستقبلية والتَّحولات الرَّقمية[1]. وبالتَّالي، أظهرت النَّتائج أنَّ الغياب في سياق الدَّار البيضاء قد تحوَّل من مجرَّد "سلوك" إلى "استراتيجية تكيُّف" مع بيئة حضرية ضاغطة ومؤسَّسة تعليميَّة لا تزال تعاني من ضعف الجاذبية[2].

4. المناقشة

تخلص المناقشة إلى أنَّ أي إصلاح لن يكتب له النَّجاح دون إعادة الاعتبار للأسرة ك "شريك استراتيجي" وليس مجرَّد طرف يتم استدعاؤه للعقاب. فانشغال الآباء بمزاولة مهن غير مستقرَّة لتأمين القوت اليومي، يؤدِّي قسراً إلى ضعف آليات التَّتبع اليومي لسلوك الأبناء. هذا الغياب يترك المتعلِّم في "حالة يُتم تربوي" داخل الفضاء الحضري، ممَّا يضعف لديه الوازع الانضباطي ويجعل من الشَّارع بديلاً جذَّاباً عن الفصل الدِّراسي. و يظهر غياب دور الأسرة أيضاً في طبيعة العلاقة مع المؤسَّسة؛ حيث يقتصر التَّواصل غالباً على "منطق الاتهام واللَّوم المتبادل" لحظة وقوع الأزمة، مثل الغياب الطَّويل أو الانقطاع، بدلاً من أن يكون تواصلاً تعاونياً مستداماً. وكشفت المقابلات أنَّ ضعف هذا الانخراط الأسري يساهم في تفاقم "التَّعثُّر الدِّراسي"؛ فالتِّلميذ الَّذي لا يجد سنداً تربوياً في المنزل لمراجعة دروسه، يجد نفسه عاجزاً عن مسايرة الإيقاعات البيداغوجيَّة، ممَّا يدفعه لنهج "استراتيجيَّة الهروب" عبر الغياب.

كما يشكِّل غياب الإشراف الأسري على "الاستعمالات الرقمية" للمراهقين في الوسط الحضري عاملاً رئيساً في اضطراب الإيقاعات البيولوجية؛ حيث يؤدِّي السَّهر الطَّويل في فضاء ات التَّواصل الرَّقمي، في ظلِّ غياب سلطة الوالدين التَّوجيهيَّة، إلى نقص حاد في التَّركيز، ممَّا يفسِّر حتمية الغياب في الحصص الصَّباحية كآلية تعويضية عن الإرهاق. لِذا، فالانتقال من "الحضور القسري" إلى "الانتماء التَّربوي" يستلزم تفعيل خلايا الوساطة لردم الفجوة التَّواصلية بين الأسرة والمدرسة، وضمان تحويل المنزل إلى فضاء داعم للمشروع الشَّخصي للمتعلِّم.

وتأسيساً على المقابلات مع "الحراسة العامَّة"، بخصوص منطقة "الهراويين"، يظلُّ تفعيل دور الجماعات التُّرابية في تدبير النَّقل المدرسي وتوفير الدَّعم الاجتماعي الكافي مُدخلاً لا غنى عنه لضمان "حق الولوج" وحماية تلاميذ الهراويين و أمثالهم من شبح الهدر المدرسي النَّاتج عن عجز السِّياسات الحضرية عن مواكبة التَّوسع الديمغرافي.

إنَّ معالجة ظاهرة الغيَّاب المتكرِّر في السِّلك التَّأهيلي بالحاضرة الكبرى كالدَّار البيضاء تقتضي انتقالاً جذرياً في فلسفة التَّدبير الإداري؛ حيث يتَّضح أنَّ المقاربات التَّقليدية القائمة على "الضَّبط الجسدي" قد استنفدت أغراضها ولم تعد قادرة على احتواء ديناميات العزوف المدرسي المعاصر. وبناءً عليه، يبرز ك خيار استراتيجي ضرورة التَّحول من "منطق العقاب الزَّجري" الَّذي يوصم التِّلميذ، إلى "منطق الوساطة التَّربوية" الَّذي يسعى للفهم والاستباق؛ وذلك عبر التَّفعيل الحقيقي والمنظَّم لـ خلايا اليقظة والإنصات داخل المؤسَّسات التَّعليمية، باعتبارها آليات بيداغوجية قادرة على توفير الدَّعم النَّفسي والاجتماعي اللَّازم للمتعلِّمين في وضعية هشاشة. إنَّ التَّحليل السُّوسيولوجي لنتائج الدِّراسة يؤكِّد أنَّ الاكتفاء بضمان "الحضور الشَّكلي"، أي الوجود الجسدي داخل الفصل، لا يشكِّل ضمانة لتحقيق جودة التَّعلُّمات أو ردم فجوة الفشل الدِّراسي؛ فالتِّلميذ قد يحضر جسدياً وهو في حالة "اغتراب ذهني" تام بسبب ضعف دافعيَّته. لذا، تطرح الدِّراسة كبديل حتمي ضرورة "أنسنة الزَّمن المدرسي" وإعادة هندسته بما يراعي الإيقاعات البيولوجية للمراهق، مع العمل على ربط التَّعلمات بالحياة الواقعيَّة للمتعلِّم في مدينة معقَّدة كالدَّار البيضاء، لرفع دافعيَّته الذَّاتية وجعل الفضاء المدرسي مكاناً جذاباً وليس مكاناً للإكراه. علاوة على ذلك، تخلص المناقشة في ظلِّ الأرقام المقلقة الَّتي تشير إلى مغادرة

[1] المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التقرير السنوي عن حصيلة وآفاق عمل المجلس 2024، منشورات المجلس الأعلى، الرباط، 2026، ص 280.

[2] المرجع نفسه، ص 327.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

حوالي 280 ألف تلميذ لمقاعد الدِّراسة خلال سنة 2025، إلى أنَّ الحل يكمن في تطوير نموذج متعدِّد القطاعات يركِّز على "المواكبة الفردية" الدَّقيقة للتَّلاميذ المهدَّدين بالانقطاع، وتتبُّع مساراتهم قبل وصولهم إلى مرحلة اليأس التَّربوي. هذا النَّموذج يتطلَّب إعادة صياغة العلاقة بين المدرسة والشُّركاء، وعلى رأسهم الأسرة، من خلال تفعيل دورها كشريك استراتيجي في تتبُّع مسار المتعلِّم بعيداً عن منطق "الاتِّهام واللَّوم المتبادل" عند وقوع الأزمة، بل عبر تواصل تعاوني دائم يهدف إلى تحقيق "النَّهضة التَّربوية" المنشودة، وهي مدرسة تجعل من "الانتماء التَّربوي" والارتقاء الفردي غايتها الأسمى[1].

وفي الختام، فإنَّ مواجهة الغياب في ثانويات الدَّار البيضاء يستلزم استحضار "العدالة الاجتماعية" في توزيع موارد الدَّعم والأنشطة الموازية (مسرح، رياضة، أندية)، لضمان تحوُّل المؤسَّسة من فضاء جاف لجداول الحصص إلى بيئة حاضنة للمشروع الشَّخصي للمتعلِّم، ممَّا يسهم في الانتقال من "الحضور القسري" إلى "الحضور النَّفسي والذِّهني الفاعل"

خاتمة

خلصت هذه الدِّراسة السُّوسيولوجية إلى أنَّ ظاهرة الغياب المتكرِّر في السِّلك الثَّانوي التَّأهيلي بمدينة الدَّار البيضاء ليست مجرَّد سلوك انضباطي عابر، بل هي "صرخة تربوية" تعكس عمق أزمة الانتماء والتَّعلم في الحاضرة الكبرى. لقد أثبت التَّحليل الميداني لتمثُّلات الحرَّاس العامِّين أنَّ الغياب يتحوَّل حتماً إلى آلية دفاعيَّة ينهجها التِّلميذ المتعثِّر لمواجهة اغترابه المعرفي داخل الفصل الدِّراسي، وهو ما يؤكِّد أنَّ "الفشل في التَّحصيل" هو الوقود الأوَّل لدينامية الانقطاع عن الدِّراسة. إنَّ واقع الحال في ثانويات الدَّار البيضاء، وما كشفته لغة الأرقام الصَّادمة عن مغادرة حوالي 280 ألف تلميذ للمدرسة في سنة 2025، يسائل نجاعة المقاربات الزَّجرية التَّقليدية، ويفرض الانتقال نحو "نموذج مدرسة الجودة" الَّتي تضع التِّلميذ في صلب اهتمامها. إنَّ الحل الجوهري لا يكمن في مراقبة "الحضور الجسدي" الشَّكلي، بل في إرساء تعاقد مجتمعي جديد يجعل من المدرسة فضاءً جذّاباً، آمناً، ومنصفاً، يراعي الإيقاعات البيولوجية للمراهق المعاصر وتحوُّلاته الرَّقمية. وتأسيساً على ذلك، توصي الدِّراسة بضرورة تفعيل خلايا اليقظة والوساطة التَّربوية كخيار استراتيجي يتجاوز منطق العقاب إلى منطق "المواكبة الفردية" الاستباقية. إنَّ مستقبل المنظومة التَّربوية المغربية رهين بقدرتها على ردم الفجوة بين "المدرسة" و"الحياة"، وتحويل الفصل الدِّراسي من مكان "طارِد" إلى بيئة حاضنة لمشاريع التَّلاميذ وتطلُّعاتهم، لضمان انتقالهم من الحضور القسري إلى الحضور الذِّهني والنَّفسي الحقيقي.

[1] المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التقرير السنوي عن حصيلة وآفاق عمل المجلس 2024، منشورات المجلس الأعلى، الرباط، 2026، ص 260.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المراجع والمصادر:

- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، التقرير السنوي عن حصيلة وآفاق عمل المجلس 2024، منشورات المجلس الأعلى، الرباط، 2026.
- المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، صمود المنظومة التربوية المغربية ضمان الحق في الاستمرارية البيداغوجية وجودة التعلمات في سياق الأزمات، منشورات المجلس الأعلى، الرباط، 2026.
- التقرير السنوي لليونيسف بالمغرب لعام 2025، صفحة 16. وتحديداً الوثيقة التقويمية الملحقة به المعنونة ب

.L'ÉVALUATION DU PROJET - Unicef.
https://www.unicef.org/morocco/media/4746/file/Rapport_Annuel_UNICEF._25.pdf.pdf

- مصطفى السليفاني، الهدر المدرسي: الأسباب والحلول، مجلة تكوين للدراسات التربوية وأبحاث التجديد البيداغوجي، بني ملال، 2024.
- زايد فاسكة ومحمد أوتانوت وبوزين سي محمد، تأثير التحصيل الدراسي على غياب التلميذات والتلاميذ بالتعليم الثانوي، مجلة مسالك التربية والتكوين، الرشيدية، 2021.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/